Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

اعتراضات بنت الشاطئ على علماء الإعجاز في كتابها الإعجاز البياني للقرآن

د. عبدالله عبدالرحمن الغويل
عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة مصراتة.
a.algwil@edu.misuratau.edu.ly

ملخص البحث:

يحتوي هذا البحث على بيان اعتراضات عائشة عبدالرحمن ــ المعروفة ببنت الشاطئ ــ على علماء الإعجاز القرآني؛ منذ عصر التدوين والتأليف؛ إلى علماء عصرها في القرن العشرين، في إيجاز غير مخلٍّ، هذه الاعتراضات التي جاءت في المبحث الأول من الجزء الأول من كتابها: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأورق، الذي أكدت فيه في غير موضع أن إعجاز القرآن الكريم سيظل يشغل الدارسين العلماء جيلا بعد جيل، ثم يبقى أبدًا رحب المدى، سخيّ المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية؛ امتدّ الأفق بعيدًا وراء كل مطمح.

كلمات مفتاحية: إعجاز القرآن، المعجزة، بنت الشاطئ، علماء الإعجاز، النظم، البلاغة

Bint Al-Shati's Objections to the scholars of miracles in her book, The Rhetorical Miracle of the Quran

Dr. Abdalla abdulrahman elghawail

Lecturer in the Department of Arabic Language Faculty of Education
University Misurata

Abstract: This research contains a statement of the objections of Aisha Abdul Rahman - known as Bint Al-Shati - to the scholars of the Quranic miracle; since the era of codification and authorship; to the scholars of her era in the twentieth century, in a concise manner. These objections, which came in the first section of the first part of her book: The rhetorical Miracle of the Quran and the Issues of Ibn Al-Awraq, in which she affirmed in a misplaced manner that the miracle of the Quran will continue to occupy the scholars of science generation after generation, then stay forever, range welcomed, generous resource, whenever a generation considers that it has reached its end; the horizon extends far beyond every aspiration.

Keywords: The miracle of the Quran, the miracle, Bint Al-Shati, the scholars of miracles, rhetoric

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فهذه محاولة لبيان اعتراضات عائشة بنت عبدالرحمن؛ المعروفة ببنت الشاطئ، على علماء الإعجاز القرآني، من خلال كتابها الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانيّة، وما يهم الباحث من الكتاب في هذا البحث هو الجزء الذي تناولت فيه الباحثة المعجزة، والجدل والتحدي، ووجوه الإعجاز والبيان القرآني، والبلاغيّين والإعجاز.

وبنت الشاطئ هي عائشة محمد علي عبدالرحمن، مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أول امرأة تحاضر بالأزهر الشريف، ومن أوائل من اشتغلن بالصحافة، ولدت سنة 1913م، وتوفيت سنة 1998م. (أحمد محمد علي، د. عائشة عبدالرحمن)

وقد تعقّبت بنت الشاطئ في هذا الجزء من كتابها مجهودات علماء الإعجاز منذ عصر المبعث؛ مرورًا بمن ألّف في هذا الباب من السلف، وانتهاء بمن ألف فيه من علماء العصر الحديث؛ لتظهر عديد الاعتراضات على من كتب في الإعجاز، دون جحود لجهودهم في خدمة القرآن الكريم.

وتذكر بنت الشاطئ في مقدمة كتابها الأمور التي أهلتها للبحث في هذا الميدان الجليل والتصدي له، فقد عاشت عمرها مع القرآن الكريم، والدراسات القرآنية، وإليها انتهى تخصصها، وأخذت فيها طريقة أستاذها أمين الخولي ومنهجه الدقيق الصارم، المبني على الاستقراء والاستيعاب، والتدبر للسياق الخاص والعام (بنت الشاطئ، 2023، الإعجاز البياني، ص 11)

ورأيت أن يكون البحث بعنوان: **(اعتراضات بنت الشاطئ على علماء الإعجاز في كتابها الإعجاز البياني للقرآن)** وجعلته في أربعة مطالب وخاتمة، حاولت فيها أن أبيّن هذه الاعتراضات في إيجاز غير مخل، دون التعرض للتفاصيل، أو إيراد الشواهد المكررة للقضية الواحدة.

وتكمن أهمية هذا البحث في إجابته عن الإشكالية التي وقع فيها من تصدى لموضوع إعجاز القرآن الكريم؛ وهي اعتقاد أكثرهم أنه أغلق الباب في قضية الإعجاز، وقال الكلمة الأخيرة فيه، وأنه قطع بما جاء به؛ قول كل دارس، ليصل الباحث في نهاية المطاف مع هذه الاعتراضات وصاحبتها؛ على أن من إعجاز القرآن أن يظل الباب فيه مفتوحًا أبدًا، وأن الإعجاز البياني القرآني يفوت كل محاولة وجهد، وتبقى محاولات كل جيل

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

علامات على الطريق، وجهد عصر، ومستوى بيئة، يبني عليها من يأتي بعدهم، لتبقى أسرار القرآن الكريم الباهرة تظهر للأجيال جيلا بعد جيل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الأول: اعتراضات على ادّعاء القول الفصل في نظم القرآن الكريم وإعجازه.

إعجاز القرآن الكريم في نظمه ووجوه إعجازه؛ هو كما قالت بنت الشاطئ في مدخل كتابها: إن "من إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين العلماء، جيلا بعد جيل، ثم يظل رحب المدى سخيّ المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية؛ امتدّ الأفق بعيدًا وراء كل مطمح، عاليًا يفوت طاقة الدارسين". (بنت الشاطئ، 2023، الإعجاز البياني، ص 11)

و لم تنفرد قضية الإعجاز بالبحث أول عصر التدوين والتأليف؛ شأنها في ذلك شأن أكثر العلوم اللغوية والفقهية والكلامية، وإنما عولجت مع غيرها من القضايا، حتى استقلت بالبحث في القرن الثالث الهجري وما بعده.

وعن الطبقة الأولى من علماء الإعجاز تقول بنت الشاطئ: "وظن أعلام هذه الطبقة الأولى ممن كتبوا في نظم القرآن وإعجازه؛ أنهم استوفوا الكلام فيه فلم يدعوا لمن بعدهم مجالا لجديد يقال" (بنت الشاطئ، 2023، الإعجاز البياني، ص 20)، وسارت في كتابها تسرد اعتراضات كل متأخر لمن تقدمه في هذا الباب؛ من خلال نصوصهم التي تأتي بها للدلالة على ذلك، فنقلت أقوالا لعلماء القرن الرابع الهجري؛ كالباقلاني والخطابي، يذكرون فيها أنهم لم يجدوا في مجهودات من سبقهم ما يغني وما يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى، ومما نقلته قول الخطابي: "قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديمًا وحديثًا، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدروا عن ريٍّ" (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص21).

وظن الباقلاني ــ كما تقول بنت الشاطئ ــ أنه أغلق الباب وقال فيه الكلمة الأخيرة، فجاء عبدالقاهر الجرجاني في القرن الخامس وعرض السؤال في قضية الإعجاز كأن لم يعرض من قبل، فهو لم ير في كتب السلف إلا شرًّا وتخليطًا، قد جلبوا من الداء ما أعيا الطبيب، وحيّر اللبيب (عبدالقاهر، دلائل الإعجاز ص32)، وتعقّب بنت الشاطئ على كلام عبدالقاهر بقولها: "وظن الجرجاني أنه قطع قول كل دارس، وجاء في بيان فوت نظم القرآن بما قصر عنه الأوائل والأواخر"، (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني ص24).

ومع الدلائل قدّم الجرجاني رسالته الشافية في إعجاز القرآن، وحسب أنه أتى فيها بما يشفي من له طبع إذا قدحته أورى، وقلب إذا أريته رأى (بيان إعجاز القرآن، ص21).

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

وتصدى ابن حزم الظاهري لمن تكلم في إعجاز القرآن من السلف، واشتدت وطأته على الباقلاني، فوصفه بالكفر والهذيان والحمق؛ وبالنذل المستخف (ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 169/4)

ولم ير علماء القرن السادس في جهود من سبقهم ما يُنهي الصراع في مسألة الإعجاز، إذ تنقل بنت الشاطئ عن ابن رشد الحفيد أنه أنكر الخصومات المذهبية، التي أضرت بالإسلام أشد الضرر، حسب قوله، أما فخر الدين الرازي فقد ألف كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز؛ يرجو به أن يستدرك ما فات غيره، وأن يهذب ما قالوه، فقال في مقدمة كتابه عن عبدالقاهر إنه "أهمل في رعاية ترتيب الأصول والأبواب، وأطنب في الكلام كل الإطناب" (الفخر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص25)

وتمضي بنت الشاطئ في كتابها مع علماء الإعجاز؛ فتذكر أن يحيى بن حمزة العلوي؛ في القرن الثامن؛ رأى الميدان قفرًا خاليًا، ولا ينقضي له عجب من حال علماء البيان قبله، وأن كلامهم في وجه الإعجاز لا ينقع من غلة، ولا يشفي من علّة، فقدم كتابه؛ الطراز المتضمن أسرار البلاغة وحقائق التنزيل؛ لينقع الغلة، ويشفي العلّة! حسب وصف بنت الشاطئ، (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص28) التي ذكرت بعد ذلك أن كتاب الطراز لم يجد فيه القرن التالي له أكثر مما وجد مؤلفه في تراث السلف، إذ أخرج برهان الدين البقاعي كتابه؛ نظم الدرر، الذي وصفه حاجي خليفة أنه كتاب لم يسبقه إليه أحد. تقول بنت الشاطئ: " ولم يهمل الزمن البقاعي في انتظار جواب ما سأل عنه، بل تصدى له من معاصريه من خالفوه وجرّحوه، حتى كادت تكون فتنة (...) وفات البقاعي أن يدرك أن المجال يتسع لآراء مخالفيه، وأن أعلام السلف قالوا في مصنفاتهم (...) مثل ما قال في كتابه نظم الدرر، فلم يُسلّم لأحد منهم أن يدعي القول الفصل في الكتاب المعجز"(بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص28، 29).

وبعد جهود هؤلاء العلماء ومن جاء بعدهم، كبدر الدين الزركشي، والجلال السيوطي، يأتي في العصر الحديث من يرى الحاجة إلى تحقيق القول في الإعجاز ووجوهه، فهذا محمد عبده يقول: "ولعمري إن مسألة النظم والأسلوب لإحدى الكبر، وأعجب العجائب لمن فكر وأبصر، ولم يوفها أحد حقها على كثرة ما أبدأوا فيها وأعادوا" (محمد عبده، تفسير الذكر الحكيم، 199/1، نقلا عن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني، ص24).

وأطالت عائشة بنت الشاطئ في نقل فقرات من كلام مصطفى الرافعي، الذي جاء بعد محمد عبده، وعباراته حسب قولها تعكس صدى رأي علماء جيله، وقد صال وجال في الميدان؛ كمن يقول: كم ترك الأول للآخر، ونظر في تراث المكتبة القرآنية فلم ير فيه كله شيئا ذا بال، وهو لا يتحرج من القول بالظن في مصنفات السلف،

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

حتى تلك التي لم تصل إلينا، كقوله في كتاب لابن سراقة في إعجاز القرآن؛ ضاع فيما ضاع من ترثنا: "على أن كتابه لو كان مما ينفع الناس لمكث في الأرض" (الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص133).

لكن الرافعي ــــ كما تقول بنت الشاطئ ــــ لم يلبث أن صار هو من الأول الذي ترك لنا ما ترك، فلم تمض أعوام على ظهور كتابه حتى بدا الميدان لمن بعده خاليا أو يكاد، فرأى الدكتور عبدالعليم أن ينشر في الهند كتاب الباقلاني في إعجاز القرآن، في الوقت الذي رأى فيه السيد صقر أن ينشر الكتاب نفسه في مصر؛ لأنه في تقديره أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص33).

وقد علقت بنت الشاطئ على تعليقات السيد صقر في التنويه بكتاب الباقلاني والرد على من ينتقصه في مقدمة تحقيقه للكتاب؛ بقولها: "رحم الله ابن حزم! ورحمنا الله، إن كانت حياتنا عقمت، فليس لها أن تعرف من الإعجاز غير ما قاله قائل منذ عشرة قرون!" (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص33، 34).

مما سبق يتأكد لنا أن الباب في قضية الإعجاز والنظم القرآني سيظل مفتوحًا، وأن دعوى إغلاقه، وقول الكلمة الأخيرة فيه؛ لم تسلم لأحد منذ الجاحظ والباقلاني؛ ومن جاء بعدهم كالجرجاني وابن حزم والرازي والعلوي والبقاعي؛ ومحمد عبده والرافعي، إذ لم يلبث الزمن أن نسخ ما قالوا، فالإعجاز القرآني يفوت كل محاولة وجهد، وتبقى هذه المجهودات علامات على الطريق، نبدأ منها من حيث انتهى أصحابها.

المطلب الثاني: اعتراضات في قضية التحدي والمعاجزة.

تقرّر بنت الشاطئ من بداية الحديث عن هذه القضية بأنه: "من فجر المبعث فرض القرآن إعجازه على كل من سمعوه من العرب، على تفاوت مراتبهم في البلاغة، وقد تحيّر المشركون في وصفه، وحرصوا على أن يصدوا العرب عن سماعه، عن يقين بأنه ما من عربي يخطئه أن يميّز بين هذا القرآن وقول البشر" (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص39).

وأكثر اعتراضات بنت الشاطئ في هذه القضية جاءت على آراء أبي بكر الباقلاني، وكأنه الوحيد الذي تكلم في هذه القضية، أو لعل الباحثة اكتفت بالاعتراض على آرائه.

لقد عدّ الباقلاني تفاوت العرب عصر المبعث في الفصاحة والبلاغة؛ ووجود الشبهات، وعدم التماثل؛ من الوجوه الصارفة عن الإسلام؛ لمن ظل على شركه وتكذيبه أمدًا طال أو قصر، يقول: "ولو كانوا في الفصاحة على مرتبة واحدة، وكانت صوارفهم وأسبابهم متفقة، لتوافوا إلى القبول جملة واحدة" (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص40).

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ النشر:2025/01/14 تاريخ الاستلام:2024/11/03

وسوّى الباقلاني بين العربي الذي ليس في المرتبة العليا من الفصاحة والأعجمي، فكلاهما لم يعرف إعجاز القرآن إلا بعلمه أن العرب البلغاء قد عجزوا عن ذلك، تقول بنت الشاطئ: "وفي هذا الكلام نظر؛ من حيث أن العرب في عصر المبعث فصحاء، وهم وإن تفاوتوا في مرتبة البلاغة (...) فما كانوا بحيث يغيب عنهم جيد القول من رديئه" (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص44)، وضربت مثلا على ذلك بقصة أم جندب، التي لم تعرف بأنها شاعرة، لكنها بحسها اللغوي المرهف سليقة وطبعًا؛ استطاعت أن تميّز بين مواضع الضعف والقوة في قصيدتي امرئ القيس وعلقمة الفحل. ثم تقول: "أرى الباقلاني قد خلط هنا بين الفصاحة، وبين القدرة البلاغية" (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص44).

ورأت بنت الشاطئ أن الباقلاني قد اختلط عليه الأمر أيضًا بين المعجزة، وبين التحدي، حين أكد أن الرجوع إلى التحدي في إعجاز القرآن؛ يكون إلى جملة الفصحاء دون الآحاد، فمن حيث أن القرآن معجز؛ ترى الأمر فيه واضحًا لكل ذي سليقة عربية أصيلة، وإدراك إعجازه كان ميسّرًا لهم جميعًا في عصر البعثة، أما من حيث تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله؛ فتلك قضية أخرى، معروضة على بلغائهم، ومن يظاهرونهم من جن فيما زعموا.

وتضرب بنت الشاطئ مثالا من الواقع؛ توجز فيه القول في إيضاح الفرق بين المعجزة والتحدي، بأن الشاعر العربي كان يقول قصيدته؛ فيتلقاها جمهور المستمعين بالقبول أو الرفض، أما أن يعارضها آخر منهم؛ فذلك محصور في أقرانه من الشعراء (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص45).

وحول وصف المشركين للقرآن بأنه شعر؛ تؤكد بنت الشاطئ أن هذا الوصف منهم جاء بسبب ما لمسوا فيه من سحر البيان، وما له من سلطان على العقول والأفئدة، لم يعهدوا له شبيهًا إلا في أخذة السحر ونفوذ الشعراء، لا على أنهم حملوا القرآن حقيقة على النسق المألوف من شعر شعرائهم، كما ذهب إلى ذلك الباقلاني في أحد الوجهين اللذين صحا لديه، أو أن "يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم في وصفهم إياهم بالشعر" (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص76)، على الوجه الثاني، وترد بنت الشاطئ على هذا الوجه بقولها: إن العرب في عصر المبعث لم يكونوا يعرفون مذهب الفلاسفة في وصف حكمائهم وذوي الفطنة منهم بالشعر (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص48).

ولا تهتم بنت الشاطئ بما تصدى له الباقلاني من فرض ما قد يزعمه زاعم؛ من أنه وجد في القرآن شعرًا، وقد رد على مثل هذا الزعم الجاحظ من قبل الباقلاني، فقد ذكر بأنك إذا قست الشعر بهذا المقياس؛ فلن نعدم أن تجد في كل كلام؛ حتى في كلام السوقة والباعة؛ ما تحمله على الشعر، وتؤكد بنت الشاطئ على أنها لم

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

تعلم أن المشركين قد خاضوا في أن من آيات القرآن ما يمكن أن يحمل على وزن الشعر ونسقه، حين قالوا إن محمدًا شاعر، وترى أن أوهن من ذلك أن يرد الباقلاني على من يسأل عن هذا الوجه؛ أن العلماء بالشعر لم يجعلوا البيت الواحد وما كان على وزنه شعرًا، وأن أقل الشعر بيتان فصاعدًا، وأن منهم من قال إن الرجز ليس بشعر أصلا (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص80، 81). فالباقلاني لم يزد هنا على ما سبقه إليه الجاحظ، وإن كان الجاحظ لم يسق كلامه للرد على وصف قريش للقرآن بالشعر، وإنما للرد على من التقطوا بعض الآيات وزعموا أنها في وزن الشعر (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص51).

ولا يسلم الجاحظ أيضًا من انتقاد بنت الشاطئ له في هذا الموضع؛ لتنظيره بكلام العامة والسوقة، فالقضية ما هانت إلى الحد الذي يساق فيه مثل هذا الاحتجاج؛ لنفي الشعر عن البيان الأعلى، فكفار قريش نفسهم لم يبلغ بهم عقم الطبع، وفساد السليقة، أن يُنظّروا له بمثل ما يجري على ألسنة العامة في مبتذل الكلام (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص51).

ولأن صفة الشعر هي أقرب ما تعلق به مشركو مكة؛ حرص القرآن على أن ينفي عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذه الشاعرية، تقول بنت الشاطئ: لا ذمًّا للشعر كما ذهب الباقلاني في الفصل الذي عقده في نفي الشعر عن القرآن (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص76)، ولكن لأن الشعر مظنّة الالتباس بالمعجزة البيانية؛ نفاذًا إلى الوجدان العربي، وسلطانًا على عقولهم، وحتى آيات سورة الشعراء؛ ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كلّ وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ (سورة الشعراء، الآيات: 224، 225، 226) لم تأت ــ كما تقول بنت الشاطئ ــ في سياق نفي الشعر عن القرآن، والاحتجاج للمعجزة، كما وهم الباقلاني، وإنما نزلت في شعراء الأحزاب من قريش (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص53، 54).

أما عن تحدي الله للإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ في قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ (سورة الإسراء، الآية 88) فقد فهم الباقلاني من معاجزة الجنّ "أنّ نظم القرآن وقع موقعًا من البلاغة يخرج عن عادة كلام الجنّ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس". (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص57) وساق الباقلاني على ما فهم أمثلة على كلامهم، كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن، وما يروون لهم من الشعر والحكايات ومحاورات، ونقل بعد ذلك مختارات من كلامهم؛ من شعر تأبط شرًّا، وذي الرمة، وغيرهم (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص58وما بعدها).

وتعقب بنت الشاطئ على ذلك بقولها: "وقد ترى عجبًا من العجب أن يسوق الباقلاني شعرًا لتأبط شرًّا وذي الرمة؛ وغيرهما ليحكم به على مستوى كلام الجن والغيلان؛ من جهة الفصاحة، والذي حكاه الشعراء العرب عن مغامراتهم مع الغيلان، ونقلوه من كلامهم؛ هو بلا ريب من كلام الشعراء أنفسهم" (الإعجاز البياني، ص73،72).

وتقول بنت الشاطئ: هل ما حكاه القرآن عن الجن؛ يخرج عن البيان القرآني، إلى كلام الجن على الحقيقة؟ وهل نطق الهدهد والنملة بنص الكلمات التي نتلوها؟ وهل كان الحوار فيما قصّه علينا القرآن الكريم من قصص؛ مثل قصة أهل الكهف، ونوح وابنه، وفرعون والسحرة، وامرأة العزيز ونسوة المدينة، وإبراهيم والملائكة، يخرج عن البيان القرآني المعجز؛ لنحكم به على فصاحة هؤلاء الغابرين في اللسان العربي؟ (الإعجاز البياني، ص73، 74).

وتذكر بنت الشاطئ في كتابها الاضطراب الذي وقع حول التفريق بين خلود المعجزة، وبقاء الحجة، وبين التحدي لبلغاء العرب في عصر المبعث، عند أصحاب اللسان العربي ومن يدّعون أسرار بيانه، وهل كان التحدي موجّهًا إلى العرب في عصر المبعث، أم أنه قائم أبدًا على امتداد الزمان؟ وترى أن الباقلاني قد اضطرب في موقفه من هذه القضية، فهو يتشدد على خطأ من زعموا اختصاص أهل العصر الأول بالتحدي، (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص33) ثم ينقض حكمه فيوافق من خطّأهم، واشتد في النكير عليهم، مؤكدًا أن المرجوع في هذا إلى جملة الفصحاء، دون الآحاد (الباقلاني، إعجاز القرآن، ص35 ــ 43).

وينقل الباقلاني أنه إذا علمنا أن أهل عصر النبوة كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله؛ فمن بعدهم أعجز، ثم لا يلبث في الفقرة التالية أن يهدر اختصاص العرب في عصر المبعث، ويقول بأن التحدي مطروح عليهم وعلى غيرهم على حدٍّ واحد، وتعقّب بنت الشاطئ على هذا التناقض الذي نقلته عن الباقلاني بقولها: "وأخشى أنني أظلم القاضي الباقلاني بنقل فقرات من كلامه؛ قد أراها تحدد موقفًا له من قضيتي الإعجاز والتحدي، فالحق أنني ما أكاد أستبين له رأيًا في فقرة أنقلها من كلامه؛ حتى يبدو لي في فقرة أخرى تالية؛ غير ما فهمته من الفقرة قبلها، وأحسبه ما تحيّر في موقفه إلا لأنه لم يفصل بين الإعجاز باقيًا أبدًا (...) وبين التحدي للعرب المشركين في عصر المبعث" (الإعجاز البياني للقرآن، ص77).

فاعتراضات بنت الشاطئ في قضية التحدي والمعاجزة إذن جاءت حول الخلط والجدل؛ الذي وقع فيه كثير ممن تصدى للإعجاز القرآني، وتحدي الله لفصحاء العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن، بل ولو اجتمع الإنس والجن على ذلك، فقد خلط بعضهم بين الفصاحة وبين القدرة البلاغية، وبين المعجزة والتحدي،

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

واختلفوا حول تفاوت العرب في معرفة إعجاز القرآن وبيانه، كل حسب حظه من الفصاحة والبلاغة، ومن الانقياد والصدود.

المطلب الثالث: اعتراضات في وجوه الإعجاز.

فرضت قضية الإعجاز نفسها من قديم على علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم، والذي لا ريب فيه ــ كما تقول بنت الشاطئ ــ "هو أن إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع جدل أو خلاف، وإنما كان الجدل بين الفرق الإسلامية في اعتباره الوجه في الإعجاز، أو القول معه بوجوه أخرى" (الإعجاز البياني للقرآن، ص82).

وقد تعذر على الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ "لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمّنًا أصح المعاني" (الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص27). قال تعالى: ﴿أفلا يتدبَّرُونَ القُرْآنَ ولو كان مِنْ عند غيرِ اللهِ لوجدُوا فيه اختِلافًا كثيرًا﴾ (سورة النساء، الآية 81).

فالإعجاز البلاغي هو الذي ذهب إليه الكثيرون من علماء أهل النظر، وسيطر على مباحث المتكلمين في الإعجاز، سواء منهم من جعله الوجه الأول، أو الذين ذكروا معه غيره من وجوه الإعجاز الأخرى، "وإنما الخلاف في أن تنفصل عن إعجاز نظمه وبلاغته"، (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص94)، وسنرى كيف أن بنت الشاطئ في كتابها هذا قد أرجعت كل الوجوه إلى وجه الإعجاز البلاغي البياني للقرآن الكريم، وأن القائلين بغيره من الوجوه؛ كالصرفة، أو بما في القرآن من قيم ومُثل، أو غير ذلك من الوجوه؛ لم يستطيعوا أن يفصلوا الإعجاز عن البيان القرآني.

وتؤكد بنت الشاطئ في كتابها أن قضية التحدي بعجز العرب المشركين عن الإتيان ولو بسورة من مثل القرآن؛ قد حسمت القضية منذ عصر المبعث، لتظل قضية الإعجاز معروضة على الأجيال المتعاقبة، وهي تعترض على نقل بعض علماء الإعجاز هذيان أمثال مسيلمة الكذاب، ممن ادعوا النبوة؛ في كتبهم، وهي تصف هذا الهذيان بأنه أهون من أن يوضع في الميزان، أو يدخل في القضية الكبرى للتحدي والمعاجزة، (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص80).

وتبدأ بنت الشاطئ في كتابها بذكر بعض وجوه الإعجاز، التي حاول قائلوها أن يجعلوها الأساس في الإعجاز، فتبدأ بقول القائلين بالصرفة، التي عنوا بها أنّ الله تعالى صرف الهمم عن معارضة القرآن، وقد شاعت نسبة هذا القول إلى المعتزلة، تقول بنت الشاطئ: "ولعلهم لم ينظروا في ذلك إلى المعجزة، وإنما نظروا إلى دلالتها على النبوة" (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص82)

لكن القائلين بالصرفة لم يتفقوا على الاكتفاء بهذا القول، دون النظر إلى بلاغة القرآن وبيانه المعجز، إذ تذكر بنت الشاطئ أنهم التفتوا إلى أهمية الإعجاز البلاغي، واجتهدوا في تقرير وجه إعجاز فصاحته ونظمه، وتجردوا للاحتجاج به، فالجاحظ ـــ مثلا ـــ وهو من تلاميذ النّظّام؛ صنّف كتابه نظم القرآن؛ احتجاجًا لإعجاز هذا النظم، ومخالفًا به رأي من اكتفوا فيه بالقول بالصرفة، ونجد مثل ذلك أيضًا في كتابه البيان والتبيين، (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص94) و (الجاحظ، البيان والتبيين، 383/1).

والذي فهمته بنت الشاطئ من كلام القاضي عبدالجبار المعتزلي؛ هو أن الاعتبار الأول عنده لإعجاز القرآن؛ هو من جهة فصاحته، وأن القول بالصرفة حجة ملزمة لمن قالوا بها. وأما علي بن عيسى الرماني ـــ وهو من المعتزلة أيضًا ـــ فلم يزد في القول بالصرفة؛ على أن ساقه بإيجاز مع وجوه إعجاز القرآن، في حين أنه جعل معظم رسالته: النكت في إعجاز القرآن؛ للحديث عن إعجازه البلاغي. تقول بنت الشاطئ: " ويوشك أن يكون هذا هو الموقف الغالب على المتكلمين في إعجاز القرآن، ممن عَدّوا الصرفة وجهًا للإعجاز، ثم مضوا ينظرون في بلاغته المعجزة"، (الإعجاز البياني للقرآن، ص87). وهذا الزمخشري المعتزلي يقرر أنه لابد من علم البيان والمعاني لإدراك معجزة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ومعرفة لطائف حجّته"، (الزمخشري، الكشاف، 3/1).

لقد آل الأمر بالمعتزلة ـــ كما تقول بنت الشاطئ ـــ بعد الجيل الأول من شيوخهم؛ إلى اعتبار الصرفة وجهًا من وجوه الإعجاز، لا يعطل النظر في وجه إعجازه البلاغي، وحتى أولئك الذين ذكروا الصرفة من غير المعتزلة، استيعابًا لمذاهب المتكلمين في الإعجاز؛ لم يلبثوا أن خصوا إعجازه البلاغي بالعناية والاهتمام. (الإعجاز البياني للقرآن، ص89)

أما القائلون بإعجاز القرآن بما فيه من قيم ومُثُل؛ وأحكام يستحيل أن يأتي مثلها بشر، فهؤلاء أيضًا لم يفتهم أن البيان القرآني هو الذي فرض إعجازه على العرب، من بداية الوحي، وأن قضية التحدي واجهت المعاندين في العهد المكي، وحسمت بآية سورة البقرة، (الآيتان؛ 22، 23) أول السور المدنية، قبل أن يتم التشريع والأحكام بتمام الوحي، تقول بنت الشاطئ: "وهم وإن لم ينصوا على التفاتهم إلى هذا الملحظ، فقد عبّر عنه مسلكهم حين اكتفوا بأن عدّوا القيم والأحكام بين وجوه الإعجاز، ثم تفرغوا للنظر في الإعجاز البلاغي للقرآن"، (الإعجاز البياني للقرآن، ص90).

وتؤكد بنت الشاطئ على أن القائلين بهذا الوجه لم يستطيعوا فصل هذه الأحكام والقيم عن النظم البليغ المعجز، الذي نزلت به، وساقت أمثلة على ذلك، منها قول الخطابي في شرحه لهذا الوجه: "واعلم أن

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

القرآن إنما صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمنًا أفصح المعاني"، (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، ص27)، ثم تقول: "ويوشك أن يكون هذا هو النهج الغالب على من عدّوا قيم القرآن وأحكامه وجهًا من وجوه إعجازه، لم يفصلوها عن نظمه المعجز، الذي حشدوا جهدهم للنظر في بلاغته (...) فضلا عن كون التشريع والأحكام مما اتجهت إليه عناية القرآن في العهد المدني؛ بعد حسم قضية المعاجزة بآية سورة البقرة" (الإعجاز البياني للقرآن، ص91).

وكذلك من ذهب إلى أن القرآن معجز بما ذَكَر من أحداث قبل أن تقع، كقوله تعالى: ﴿ألم غُلِبَتْ الرُّومُ في أدْنَى الأرضِ وهُم مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ في بِضْعِ سِنِين﴾، (سورة الروم، الآيات: 1، 2، 3)، وكقوله تعالى:﴿قُل لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِي بَأسٍ شَدِيدٍ﴾، سورة الفتح، من الآية: 16﴾، أو من ذهب إلى أنه مُعجز بما جاء به من أخبار الماضي الغابر، فجميعهم لم يستطع حسب قول بنت الشاطئ؛ أن يفصلوه عن البيان القرآني. (الإعجاز البياني للقرآن، ص91 وما بعدها﴾.

وهي تؤكد أن المصنّفات الأولى في الإعجاز؛ على اختلاف مذاهب أصحابها، جاءت أشبه بمباحث بلاغيّة، وإن استوعبت أقوال المتكلمين في وجوه الإعجاز، "فرسائل الخطابي السنّي، والرمّاني المعتزليّ، والباقلاني الأشعري، تأخذ مكانها في المكتبة البلاغيّة"، (الإعجاز البياني للقرآن، ص94)، وذكرت أنه بعد أن استقلّت البلاغة بالتأليف والتصنيف؛ وجّهت إلى خدمة الإعجاز البلاغي، عند أمثال عبدالقاهر الجرجاني، وأبي هلال العسكري، والزمخشري، والسكاكي، وغيرهم كثير، وجرى المتأخرون كذلك على أن يجمعوا في الإعجاز ما قاله السلف من وجوه، كصنيع الشيخ محمد عبده؛ في الفصل الذي كتبه في تفسيره عن الإعجاز، إذ بدأ بإعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه وبلاغته، (الإعجاز البياني للقرآن، ص94، 95).

وترفض بنت الشاطئ أن تتعرّض للذين خاضوا حديثًا فيما سموه الإعجاز العلمي للقرآن، وتأوّلوا فيه آيات في اختراعات حديثة، كالذرّة، ومركبات الفضاء، وقانون الجاذبية، ودوران الأرض، وغير ذلك مما لم يخطر على بال عربي في عصر المبعث، وصدر الإسلام. (الإعجاز البياني للقرآن، ص96).

مما سبق في هذا المطلب يتضح لنا إجماع علماء الإعجاز على وجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وأن كل القائلين بوجوه أخرى، لم يستطيعوا فصل هذه الوجوه عن وجه الإعجاز البياني.

المطلب الرابع: اعتراضات على علماء الإعجاز من البلاغيين، وكثرة شواهدهم عليه من غير القرآن.

ترى بنت الشاطئ أنّ إجماع علماء الإعجاز على وجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم؛ قد نقل القضية إلى الميدان البلاغي على وجه التخصيص، احتجاجًا لنظم القرآن، وقد تناولت في كتابها الحكم على مناهج

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا ـالعدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

المصنفين في الإعجاز البلاغي، ممن بقيت كتبهم، فتبدأ بالخطابي، الذي سبق غيره ــ كما قالت ــ إلى شرح فكرة الإعجاز بالنظم، ومناط البلاغة عنده في النظم القرآني أنّ "اللفظ في مكانه إذا أبدل فسد معناه، أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة"، (ثلاث رسائل في الإعجاز، ص29).

وترى بنت الشاطئ أن هذا الرأي يلتقي إلى حدٍّ ما مع جوهر فكرها في الإعجاز، وأنها تختلف بعد ذلك معه في تحقيق مغزى كلامه، ولمح أبعاده، وطريق الاحتجاج له، فهو حين يقول بسقوط البلاغة لفساد المعنى، أو ضياع الرونق، يتجه إلى الرونق اللفظي، فيجعله غير فساد المعنى، " ولا عبرة عندنا برونق لفظي مع فساد المعنى"، (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص102).

أمّا بخصوص رؤية الخطابي أنه من الإعجاز أن تأتي بلاغات القرآن جامعة لطبقات ثلاث متفاوتة؛ هي: البليغ الرصين الجزل، والفصيح الغريب السهل، والجائز الطلق، مع استبعاد الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة؛ فترى بنت الشاطئ أنّ عبارته موهمة، ومردودة عليه من ناحيتين: "أولاهما: أنّ فهمنا للإعجاز البياني هو فوتٌ لأعلى درجات البلاغة، دون أوسطها، أو أدناها، والأخرى: أنّ هذه الدرجات الثلاث لا تجتمع بالضرورة في السورة الواحدة، وبسورة واحدة كان التحدي والمعاجزة" (الإعجاز البياني للقرآن، ص102).

وفي دفع الخطابي لشبهات من جادلوا في بلاغة عبارات قرآنية؛ قالوا إنها جاءت على غير المسموع من فصيح كلام العرب؛ تُقرّر بنت الشاطئ أنها تختلف معه من حيث المبدأ في قبول عرض العبارات القرآنية على ما نقل عصر التدوين من فصيح كلام العرب، والأصل أن يعرض هذا الذي نقلوه على القرآن الكريم؛ إذ هو قمة الفصحى، والنص الموثوق، وترى أنه كان في غنى عن الاشتغال بهذيان من ادعوا النبوة بعد عصر النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجاءوا بسخافات هابطة سقيمة، يعارضون بها القرآن الكريم فيما زعموا، وهي عندنا أهون من أن توضع في الميزان، ومجرد ذكرها في هذا المقام؛ ولو للكشف عن سقمها وإسفافها؛ يرفع من شأنها، ويعطيها من القيمة ما لا تستحق. (الإعجاز البياني للقرآن، ص103).

وتعترض بنت الشاطئ على كثير ممن تناولوا إعجاز القرآن الكريم من جهة البلاغة؛ في خروجهم عن الدراسة القرآنية؛ إلى دراسات للشعر والخطب، كالباقلاني، وعبدالقاهر الجرجاني، إذ أكثروا من الاستشهاد بالشعر، وقلّما يأتوا بشواهد قرآنية؛ تجلو الملحظ البلاغي، عدا قلة منهم؛ كالرمّاني، وابن أبي الإصبع المصري، اللذين قدّما الشاهد القرآني، وأكثرا منه.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

أما القاضي عبدالجبار المعتزلي؛ فرأت بنت الشاطئ أنه يحتجّ في كتابه المغني؛ لبلاغة القرآن، وحسن نظمه، بطريقة المتكلمين؛ لا البلاغيين، وكذلك الباقلاني؛ في كتابه إعجاز القرآن، فقد رأت أنه "ليس دراسة قرآنية خالصة للإعجاز، كما يفهم من عنوانه، وكما تَعِدُ مقدمته، بل هي أقرب إلى الجدل الكلامي والمذهبي، والنقد الأدبي لنصوص طوال من الشعر والنثر"، (الإعجاز البياني للقرآن، ص110).

وقد أكثرت بنت الشاطئ؛ عند حديثها عن الباقلاني من اعتراضاتها عليه، ونقل الأمثلة الكثيرة من كتابه، ومن أمثلة هذه الاعتراضات قولها: "لكنه لا يلبث أن يستطرد بين حين وآخر إلى جدل كلامي مُجهد"، وفي فصول كتابه البلاغية؛ "لا يفرغ للنظر في أسرار البيان القرآني، وإنما يعمد إلى نقل قصائد وخطب طوال من مختار الشعر والنثر"، و "قد يكتفي بإيراد النصوص الشعرية والنثرية" في صفحات كثيرة؛ ليعقب بعدها بقوله: إن المتأمل في هذه النصوص سيقع له الفصل بين كلام الآدميين، وكلام رب العالمين.

وتذكر بنت الشاطئ في كتابها أنّ الباقلاني أكثر من تتبّع القصائد المشهورة؛ كمعلقة امرئ القيس، ينقدها بيتًا بيتًا، وملأ صفحات من سخف مسيلمة وسجاح، ليتوقع القارئ أنْ يفرغ الباقلاني بعد هذا إلى إعجاز النظم القرآني وبلاغته، فإذا هو يستأنف نقل النصوص الطوال من شعر المحدثين؛ كأبي نواس والبحتري، ونثر الجاحظ وابن العميد، "ومن أشق الأمور على دارسٍ ينظر في كتاب الباقلاني؛ أنْ يستخلص له من بين الحشد الكاثر (...) فكرة واضحة في الإعجاز البلاغي لنظم القرآن"، (الإعجاز البياني للقرآن، ص113).

ونقل الباقلاني الأقسام العشرة للبلاغة عن الرمّاني، دون أن يصرح باسمه، وملأ بها ثلاثين صفحة، ثم يعقبها بالنقد الذي لا يستبين منه مذهب واضح في الإعجاز، وهو "لم يلتزم منهج الرماني في الاستشهاد بالقرآن، بل قدّم مع الشواهد القرآنية؛ شواهد من الشعر والنثر، وربما بدأ بتقديم هذه الشواهد من كلام البشر، ثم عقّب عليها بقوله: ونظير ذلك في القرآن، ... أو مثله في القرآن ..."، (الإعجاز البياني للقرآن، ص113).

كما بيّنت بنت الشاطئ في كتابها أنّ الباقلاني لم يقدّم أي شاهد قرآني لعدد من أنواع البديع، واكتفى لها بشواهد من الشعر والنثر، وإن حاولت أن تلتمس في تناوله لأشكال البديع أي ملحظ في أسرار الإعجاز، أو نكتة بلاغية، فلن يلقاك إلا بمثل قوله: فكّر في هذه الكلمات من القرآن كل واحدة منها كالنجم في علوّه ونوره، وكالياقوت يتلألأ بين شذوره.

وللإجابة عن السؤال الذي طرحته بنت الشاطئ في كتابها؛ إلى أين وصل الباقلاني في بيان إعجاز القرآن من جهة البلاغة بعد طول الجهد، وعناء النقل للمطوّلات من القصائد والخطب، والتصدّي لنقدها؟ فضّلتْ أن تترك للباقلاني الإجابة عن هذا السؤال، من خلال نقلها لنصوص مطوّلة من كتابه، لا تعدو ـــ

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

حسب وصفها ـــ إلا أن تعبّر عن براعة واقتدار في فنّ القول، دون أن تتصل بإعجاز القرآن، فقد "مضى الباقلاني؛ وترك للبلاغيين ممن تكلموا في الإعجاز بعده هذا الرصيد الضخم من ألفاظه البديعة، وعباراته الفخمة؛ في النصاعة والبراعة والبهجة؛ والسناء والنور والضياء؛ والدرّ والياقوت، (...) والبحر الزاخر، والنجوم الزاهرة، والكبريت الأحمر"، (الإعجاز البياني للقرآن، ص120).

وقلّة الاستشهاد بالقرآن الكريم؛ على الإعجاز البلاغي للقرآن؛ لم يسلم منه عبدالقاهر الجرجاني أيضًا، وتصف بنت الشاطئ كتابه دلائل الإعجاز بأنّ اتصاله بالإعجاز غير مباشر، وهو فيما يعرض له من أبواب البلاغة لا يتحرّى تناولها في النظم القرآني، والاستشهاد لها منه، ويصرف عنه النظر عمدًا (الإعجاز البياني للقرآن، ص122، 123)، يقول: "إنّ الجهة التي يَقِفُ ـــ أي الباحث ـــ والسبب الذي يَعرِف؛ استقراء كلام العرب، وتتبّع أشعارهم، والنظر فيها"، (عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص41).

ومضى في مباحثه البلاغية ـــ كما تقول بنت الشاطئ ـــ ملتمسًا الشواهد من بليغ الشعر والنثر، وقد يقدم شاهدًا قرآنيًّا بين حين وآخر على سبيل التنظير، وتسوق له على سبيل التهكم نصوصًا ملأها بعباراته البديعة الرنّانة، التي رأت أنها لا تعدو كونها نوعًا من إظهار المقدرة والبراعة، يحيل فيها إدراك البلاغة على مبهمات ومجرّدات؛ مما سمّاه الذوق والإحساس الروحاني، والأمور الغامضة، وأن الناس مرضى حتى يلتمسوا الطب لديه. (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص123).

وترى بنت الشاطئ أن عبدالقاهر الجرجاني نقل قضية الإعجاز نقلة حاسمة إلى ميدان الدرس البلاغي، بمعزل عن القرآن نفسه، فرسم معالم الطريق لمن جاء بعده، فأفردوا البلاغة بالدرس والتأليف المستقل، يرون أنهم بهذا يخدمون المعجزة القرآنية، ويهدون إلى فهم إعجازها. (الإعجاز البياني للقرآن، ص128).

فالفخر الرازي في كتابه؛ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز؛ رأى أنّ محاولة عبدالقاهر تحتاج إلى إعادة ترتيب وتهذيب، لكن الفخر الرازي أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب، وأطنب في الكلام كل الإطناب. (بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص128).

أما ابن أبي الإصبع المصري، فقدّر حاجة هذه المباحث إلى الشواهد القرآنية، لكنه يذكر المصطلح ويتبعه بالشاهد أو الشواهد القرآنية؛ دون تفصيل لبيان وجه القوة، أو سر البلاغة فيه. (الإعجاز البياني للقرآن، ص128).

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

ومنهم من استقلّ بالبحث البلاغي بعيدًا عن قضية الإعجاز، وإمام هذه المدرسة هو أبو يعقوب السكّاكي، الذي كان حظ الإعجاز القرآني في مفتاحه بضع شواهد سيقت مع حشد من شواهد وأمثلة من قول البشر.

ثم نرى قضية الإعجاز تتوارى في الميدان البلاغي؛ في الشروح والمختصرات والحواشي، وانحصرت قضية الإعجاز في كتب علوم القرآن، وكتب المفسرين. (الإعجاز البياني للقرآن، ص130).

والواقع أنه بقدر ما سيطر أبو يعقوب السكاكي على البلاغيين المدرسين؛ سيطر عبدالقاهر الجرجاني على من تصدى لموضوع الإعجاز البلاغي من المحدثين، فكان ما أضافوه إلى إعجاز القرآن لا يعدو مثل قولهم: ما أروع، وما أعظم، وما أبهى وأبلغ، وما أجلّ وأسنى، وانظر إلى شرف هذا المعنى، وجزالة ذلك اللفظ، ...، فظل الإعجاز البلاغي يدور في هذا النطاق من القوالب التقليدية الصمّاء، والعبارات المضخمة، التي رُدّدتْ منذ أكثر من ألف سنة، و لم يجد فيها علماء الإعجاز منذ زمن الخطابي إلى الآن ما يقنع أو يشفي. (الإعجاز البياني للقرآن، ص134، 135).

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث يمكن أن نلخص أهم نتائجه في الآتي:

1ـــ أنّ إعجاز القرآن الكريم سيظل يشغل الدارسين جيلا بعد جيل، ثم يبقى أبدًا رحب المدى، سخيّ المورد.

2 ـــ اعتراضات بنت الشاطئ على علماء الإعجاز ليست بدعًا، فمن يطلع على مؤلفات من كتب في الإعجاز؛ فسيقف على اعتراضات كثيرة من اللاحق على السابق، بعد أن ظن السابق أنه أغلق الباب في الإعجاز، وأنه قال فيه الكلمة الأخيرة.

3 ـــ من أبرز اعتراضات بنت الشاطئ على علماء الإعجاز؛ كانت حول خلط أكثرهم بين فصاحة العرب عصر البعثة؛ وبين قدرتهم البلاغية، وبين المعجزة والتحدي، وحول تحوّل كثير من علماء الإعجاز في كتبهم عن جوهر قضية الإعجاز؛ إلى الاسترسال في الشواهد من الشعر والنثر ونقدها، وقلة الاستشهاد من القرآن الكريم.

4 ـــ تؤكد بنت الشاطئ أن إعجاز القرآن الكريم البلاغي البياني؛ لم يكن قط موضع جدل أو خلاف بين من تكلموا في الإعجاز، وإنما كان الجدل في اعتباره الوجه في الإعجاز، أو القول بوجوه أخرى معه، وترى أن كل الوجوه ترجع إلى وجه الإعجاز البلاغي البياني.

5 ـــ تعترض بنت الشاطئ بشدّة واستنكار على ذكر بعض علماء الإعجاز؛ نقل هذيان أمثال مسيلمة الكذاب؛ ولو للكشف عن سقم هذا الهذيان وإسفافه، فهو أهون من أن يوضع في ميزان الإعجاز. وترفض كذلك التعرض لما يسمّى الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

6 ـــ أنّ كثيرًا من مؤلفات علماء الإعجاز تُظهر براعتهم واقتدارهم على فنّ القول، وصوغ العبارات الرنّانة، دون أن تتصل بإعجاز القرآن إلا على وجه التوطئة والوسيلة والتمهيد، فاستقلت بذلك بالبحث البلاغي بعيدًا عن قضيّة الإعجاز.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/03 تاريخ النشر:2025/01/14

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني.

1ـــ الأندلسي، ابن حزم، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، القاهرة .بمصر، مكتبة الخانجي.

2 ـــ الباقلاني، أبوبكر، *إعجاز القرآن*، دار المعارف .بمصر، تحقيق: السيد صقر.

3 ـــ بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن. 2023م، *الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية بيانية*، القاهرة .بمصر، دار المعارف، ط5.

4 ـــ الجاحظ، أبو عثمان، 1998م، *البيان والتبيين*، القاهرة .بمصر، مكتبة الخانجي، ط7، تحقيق: عبدالسلام هارون.

5 ـــ الجرجاني، عبدالقاهر، 1992م، *كتاب دلائل الإعجاز*، القاهرة .بمصر، مكتبة الخانجي، ودار المدني، تحقيق: محمود شاكر، ط3.

6 ـــ الخطابي، أبو سليمان، 1976م، *بيان إعجاز القرآن*، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، دار المعارف .بمصر، ط3، تحقيق: محمد خلف الله، محمد سلام.

7 ـــ الرازي، فخر الدين، 2004م، *نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز*، بيروت ـــ لبنان، دار صادر، ط1، تحقيق: نصر الله حاجي.

8 ـــ الرافعي، مصطفى، 1997م، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، القاهرة .بمصر، مكتبة الإيمان، ط1، تحقيق: عبدالله المنشاوي.

9 ـــ الزمخشري، أبو القاسم، 1407ه، *الكشّاف عن حقائق التأويل*، بيروت ـــ لبنان، دار الكتاب العربي، ط3.

10 ـــ علي، أحمد محمد، 2019، شخصيّات مهمة، *د. عائشة عبدالرحمن، "بنت الشاطئ"*، خطوة للتوثيق والدراسات والأبحاث، Khotw acentr.com